www.withprophet.com

الفصل الرابع
الشمائل الخُلقية

رَحْمَةُ الحبيب ﷺ

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]

كان رسول الله ﷺ يدعو أهل مكة ويرفق بهم فآذاه قومه الذين لم يؤمنوا به.

فخرج ﷺ إلى أهل مدينة الطائف يدعوهم ويعرض نفسه عليهم، فلم يستجيبوا له، بل آذوه حتى أدموا قدمه

فبعث الله له ملك الجبال إن كان يريد أن يطبق عليهم الجبلين اللَّذَيْن يحيطان بالطائف

وفي مثل هذه المواقف قد يميل الرجل إلى الانتصار لنفسه، أو الانتقام ممن آذاه، لكن رحمة رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين جعلت له شأنًا آخر؛ فقال ﷺ: «أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (رواه البخاري)

وكان ﷺ رحيمًا يخفف الصلاة إذا سمع بكاء الصبي رحمةً بأمه (متفق عليه)، بل كانت بعثته ﷺ رحمة للبشرية ولجميع فئاتها وحياتها، فمن ذلك:

الرسول ﷺ يتوج انتصاره بالرحمة والعفو

«كانت تصرفات الرسول ﷺ في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر، فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو».

واشنطن إيرفينج

مؤلف وكاتب أمريكي.

www.withprophet.com

www.withprophet.com

رحمة الحبيب ﷺ بالأطفال

رآه رجل يُقبِّل طفلًا فاستغرب وقال (تُقَبِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ؟!) فقال له رسول الله ﷺ «وَمَا أَمْلِكُ إِذَا نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ» (متفق عليه)

ولما مات حفيده ﷺ بكى فقال له أحد أصحابه ما هذا؟ قال ﷺ: «رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» (متفق عليه).

رحمة الحبيب ﷺ بالضعفاء

لما اتبعه الضعفاء وكانوا أول من آمن به، قال الأغنياء والسادة: اتركهم ونؤمن بك، فرفض ذلك ﷺ أيما رفض.

قال ﷺ «من لا يَرحَمُ لا يُرْحَمُ»(متفق عليه)

وكان ﷺ يهتمّ بأمر الضعفاء والخدم، الذين هم مظنّة وقوع الظلم عليهم، والاستيلاء على حقوقهم

قال ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ».(رواه أبو داود والترمذي)

يقول ﷺ في شأن الخدم: «هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» (متفق عليه)

ومن ذلك قوله ﷺ: «إِذَا جَاءَ خَادِمُ أَحَدِكُمْ بِطَعَامِهِ فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ، أَوْ لِيُنَاوِلْهُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ» (رواه ابن ماجه)

ومثل ذلك اليتامى والأرامل، فقد حثّ الناس على كفالة اليتيم، وكان ﷺ يقول: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى» (متفق عليه)

جعل النبي ﷺ الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل، واعتبر وجود الضعفاء في الأمة والعطف عليهم سببًا من أسباب النصر على الأعداء، فقال ﷺ: «ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ؛ فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بِضُعَفَائِكُمْ» (رواه أبو داود والترمذي).

رحمة الحبيب ﷺ بالنساء

حثّ ﷺ على رعاية البنات والإحسان إليهنّ، وكان يقول ﷺ:«مَنْ وَلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» (متفق عليه)

كما شدّد ﷺ في الوصية بحق الزوجة والاهتمام بشؤونها فقال: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ» (رواه الترمذي وابن ماجه)

www.withprophet.com

www.withprophet.com

فضرب ﷺ أروع الأمثلة في التلطّف مع أهل بيته، حتى إنه كان يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رضي الله عنها رِجْلها على ركبته حتى تركب البعير

وكان عندما تأتيه ابنته فاطمة رضي الله عنها يأخذ بيدها ويُقبِّلها، ويُجلسها في مكانه الذي يجلس فيه.

رحمة الحبيب ﷺ بالأعداء

لما فُتِحَت مكة التي كان أهلها يؤذون النبي ﷺ ويعذبون من آمن به قال ﷺ: «الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ» (رواه البخاري)، وأصدر عفوًا عامًّا عن كل أهلها

وكان ﷺ يأمر بالإحسان حتى إلى أعدائه، ولين القول معهم وحسن معاملتهم، وأثناء الحرب معهم كان ينهى عن التنكيل بهم، أو قطع شجرهم، أو هدم كنائسهم.

كيف يمكن أن يكون ﷺ رحمة للعالمين وقد جاء بجهاد غير المسلمين وقتالهم؟

رحمة الحبيب ﷺ بالحيوانات

فقد تجاوزت رحمته بالبشر إلى رحمته بالحيوانات! فقد نهى ﷺ عن قتل الحيوان من أجل اللهو واللعب، وأوصى كذلك بالرفق بالحيوان، حتى عند ذبحه، فنراه ﷺ يقول لمن أضجع شاة وهو يُحِدُّ شفرته: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَتَيْنِ؟ هَلَّا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا». (رواه الحاكم).

وحكى ﷺ لأصحابه كيف أن امرأة دخلت النار في هرة، وأن رجلًا غُفِرَ له في كلب فقال: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ» (متفق عليه)

وقال: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ»، فَقَالَ: «لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟» قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» (متفق عليه).

انتشرت في العصر الحاضر جمعيات الرفق بالحيوان، فكيف ترى سبق النبي ﷺ هؤلاء في رحمته ورفقه بالحيوان ووصيته بذلك؟

محمد ﷺ القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا

«أستطيع أن أقول بكل قوة إنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد ﷺ لما غمره به من حب وعون وهداية وإلهام؛ فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره».

د م. ج. دُرّاني

قسيس إنجليزي.

www.withprophet.com

www.withprophet.com

من أجلّ صفاته ﷺ العدالة والرحمة

«...كان النبي داعيًا إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة».

مستشرق.

برتلي هيلر

رحمة الحبيب ﷺ بالجمادات

لمّا شقّ على النبي ﷺ طول القيام، استند إلى جذعٍ بجانب المنبر، فكان إذا خطب الناس اتّكأ عليه.

ثم صُنع له منبر، فتحول إليه وترك ذلك الجذع، فحنّ الجذع إلى النبي ﷺ حتى سمع الصحابة منه صوتًا كصوت البعير، فأسرع إليه النبي ﷺ فاحتضنه حتى سكن، ثم التفت إلى أصحابه فقال لهم: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(رواه أحمد).

قال ﷺ «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا».(رواه أحمد)

اذكر ثلاثة شواهد غير ما ذُكِر تبين رحمته ﷺ.

كيف تقتدي به ﷺ

1. كُنْ رحيمًا بالخَلْق كما كان ﷺ، واملأ قلبك بالرحمة، واحذر من جفاف المشاعر.
2. ابتعِدْ عن الغلظة والجفاء والعنف والتسلط.
3. اجْعَلْ حُبَّ النَّاسِ وخدمتهم هدفا لك، ولتكن مخلصًا لله في ذلك.
4. تعلَّمْ وانشُرْ دِين الرحمة، وعرِّفْ بنبيِّ الرحمة.
5. أوْصِل الرحمة للعالمين، فقد أرسله الله رحمة للعالمين.
6. أَحِبَّ رسولَ الله الرحيم وأكثِرْ من الصلاة والسلام عليه.

www.withprophet.com